مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 08 عدد: 04 السنة: 2019
ص:543 -557 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

بلاغة التعبير عن المحظور اللغوي في الحديث النبوي.

The Eloquence of the Expression of the Prohibited Language in the Hadith of Prophet Mohammed (PBUH).

عاطف عبران.*

Atif Abrane

جامعة الشيخ العربي التبسي-تبسة / الجزائر

University of Tebessa/ Algeria

تاريخ الإرسال: 2018/11/03	تاريخ القبول: 2019/09/12	تاريخ النشر: 2019/09/25

ملخص البحث

يتطرق هذا البحث إلى معالجة المحظور اللغوي في الحديث النبوي و استقراء جمالية وبلاغة التعبير عنه، وسبر غوره من خلال معرفة كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المحظور اللغوي والكلام الذي ينفر منه الإنسان ويسعى إلى تجنبه، وذلك باستعمال الأساليب البلاغية كالكناية والتعريض والإشارة والحذف أو التجاوز، وتصنيف المحظورات اللغوية المتعلقة بالأمور الجنسية من علاقات وعادات وعورات.

ونروم من خلال ذلك إلى الكشف عن آليات وظروف توظيف المفردات المتعلقة بالحظر اللغوي حتى يتجنب المتكلم الوقوع في المواقف اللغوية الحرجة ويهذب لسانه ويلطف ألفاظه. خاصة وأن الحديث النبوي مصدر ثان من مصادر الاستشهاد باللغة يسقي حقولها بشتى الأساليب والألوان البلاغية البيانية والجمالية اللفظية.

الكلمات المفتاح: المحظور-المحظور اللغوي-التعبير عن المحظور اللغوي-البلاغة.

Summary:

This research is studying the concept of dealing with the prohibited language in the Prophet's Hadith and extrapolation–the aesthetic and –eloquence to express it. It explores this by knowing how the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) dealt with the forbidden language and speech that alienates man and seeks to avoid it using rhetorical methods such as metaphors, signal, deletion or overrun, and classifying the prohibited language related to sexual matters from relationships.

* عاطف عبران. aatif01@outlook.fr

Moreover, we want to benefit from this study as long as it is related to speech and daily use so that to avoid the speaker falling into critical language positions, and soften his tongue and words. Especially, since the Prophet's Hadith is a second source that feeds the fields of the Arabic language in various styles and colors of rhetorical graphic and aesthetic language.

Keywords: Prohibited - Prohibited language – Expressing the prohibited language- rhetoric.

مقدمة:

يعد الحديث النبوي مصدرا من مصادر الاستشهاد باللغة العربية، فمنه ما يفسر القرآن ومنه ما يبين للناس ويفصل ما أجمل في القرآن، وبعضه كان إجابة لأسئلة الصحابة والناس في فترة النبوة. كما حملت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في ثناياها من البلاغة والأسلوب الجمالي في التعبير ما يشد إليه الرحال وقلما تجدها في كتاب، ومن الأساليب التي تستقطب الدارسين التعبير عن المحظور اللغوي.

وهذا يقتضي أن يعرف المتكلم كيف يخاطب الناس ويحسن انتقاء الألفاظ المناسبة خاصة في مواقف محرجة، يتجنب ذلك المسمى بالمحظور اللغوي عن طريق أساليب بلاغية كالكناية والحذف والإشارة...وهو ما نجده في بعض الأحاديث النبوية التي تتحدث عن النكاح والطهارة وما يتعلق بالمرأة.

والكلام من المواد الاستهلاكية الكثيرة إن لم نقل إلى درجة الإسراف ومنه الصالح والفاسد، ولأن القرآن أمر بالقول الحسن وجاءت الأحاديث النبوية تؤكد ذلك؛ فمن الكلام ما هو منبوذ وإن كان موافقا للشرع يضع المتكلم أحيانا في موقف لا يحسد عليه ويسبب الإحراج خاصة أمام الجماعة كالكلمات المرتبطة بالزواج والعورة وغير ذلك، فكيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع مثل هذه المواقف؟ وكيف تجاوز المحظور اللغوي؟ وما الأساليب البلاغية التي تمكن صاحبها من تجاوزه أيضا وما غايتها؟ وسيقتضي البحث اتباع المنهج الوصفي والتحليلي و تصنيف المحظورات والوقوف على العوامل المسببة للحظر اللغوي، ثم الوسائل البلاغية الموظفة لتجاوزها، واعتماد صحيح البخاري وبعض التفاسير والمراجع التي تخدم الموضوع كالكناية والتعريض للثعالبي، وعلم اللغة الاجتماعي لهادي نهر.

أولا: مفهوم المحظور:

يشير الحظر إلى المنع، وفي معجم العين:" حظر الشيء إذا منعه، كل شيء حجز بين شيئين فهو حجاز وحظار،[1] وهو الحجر و ضد الإباحة "والحظر بمعنى المنع وعدم السماح لتنفيذ أمر قولا أو فعلا. فعبارة: التدخين ممنوع تفيد حظر القيام بعملية التدخين، والحاظر مانع، أما المحظور فهو ما منع استعماله أو تنفيذه.

ويستلزم الحظر قوة فعلية تعود على صاحبها وهو ما يسمى بالسيطرة حتى يبسط الحظر ويمنع تجاوز التعليمة أو الأمر، وليس شرطا أن يكون شخصا، فالمجتمع وما يمثله من آداب عامة وتعاليم إسلامية وعادات أو حتى تاريخ الأمة يستطيع أن يقرر الحظر.

ويتعدد مجال استعمال المحظور من سياسي أو تجاري سواء داخل المجتمع أو على مستوى العلاقات الدولية فحظر العلاقات مع دولة ما؛ يعني منع أي نوع من أنواع التبادل أو ما يربط بين هذه الدولة ودولة أخرى في أي مجال سياسي أو اقتصادي أو رياضي أو ثقافي.... كما أن تعليق الحظر يعني إبطاله ويصبح الشيء مباحا.

وفي الوسط الاجتماعي تحظر أقوال وأفعال في منطقة ما لأن عاداتها أو دينها يقتضي حظر القيام بفعل ما وأن القيام به يكون مخالفا لها وكذلك بالنسبة للأقوال فيمنع التفوه بعبارات لأسباب سيأتي ذكرها.

ففي المجتمعات الإسلامية يحظر استعمال ألفاظ إما لكونها مخالفة للشرع، أو أنها غير مخالفة لكنها تدخل من باب الحياء خاصة أمام أهل التقدير والاحترام كالكبار والوالدين والمعلمين...

وهذه المجتمعات تجعل القرآن والسنة قدوة لها ومنهجا متبعا اعتقادا وقولا وفعلا. والحديث النبوي ينور درب الأمة وإن كان في القرآن ما يشفي الغليل. والنبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه ومن عايشه ومن سيأتي بعده إلى يوم الدين فلم يغفل عن أبسط الأقوال والأفعال ودونت الأحاديث والمواقف في كتب البخاري والترمذي وموطأ مالك وكتب التابعين، وقد تفنن في استعمال اللغة العربية بكل جزئياتها ما ظهر منها وما بطن، فظاهرها هو المصرح به المنطوق المسموع، والخفي ما جاء في صورة الكناية والرمز والإشارة وحتى السكوت والحذف. فتخفي هذه الأساليب كلاما ومعنى محظور كنّى عنه بألفاظ أخرى؛ وهذا من باب التأدب والتلطف في الكلام والابتعاد عن المحظور ومن أسمائه اللامساس والتابو؛ وهي عند محمد محمود السيد:"ألفاظ يتجنبها

الأفراد فيما بينهم لاعتبارات شتى.[2] ومن المصطلحات المرادفة للمحظور اللغوي: المستهجن، القبيح، التابو، الكلمات المفضوحة، المحرمات، الممنوع وغير اللائق، واللامساس: "في علم اللغة– كما يقول إبراهيم أنيس: التراكيب التي يتجنبها الأفراد فيما بينهم لاعتبارات شتى [3]" فيصبح مقدسا أو مدنسا لا يجوز لمسه أو الاقتراب منه، ويقتضي موضوع البحث حصر المحظورات في مجالات متعلقة بالأمور الجنسية والعورات، وما يتعلق بالمرأة وكيف عبر عنها في الأحاديث النبوية بالأساليب البلاغية.

ثانيا: أسباب المحظور اللغوي:

تتعد أسباب الحظر اللغوي بين اجتماعي وديني ونفسي فالديني ما أقره الشرع بحظر استعمال الألفاظ خاصة الفاحشة، لقوله تعالى: " **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**" (الإسراء:53)

فالله عز وجل يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم" بأن يأمر المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم الكلام الطيب والأحسن"[4] فانتقاء اللفظ الجميل الحسن واجب على المسلم قبل أن تخرج الكلمة من فيه.وقوله: " **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**" (النساء:148). يقول الزمخشري: " استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء، وقيل: هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم"[5]والشتيمة بألفاظها محظورة لا يقبلها الجنس البشري، وهذا لا يحبه الله وقد نهى عنه الإسلام لأنه يفتح بابا للشيطان يلجه بين الناس.

وقوله: "**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**"(ق:18). يقول أبو حيان في البحر المحيط:

"قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله تعالى من ذلك الحسنات والسيئات، ويمحو غير ذلك، وقيل من قول خير أو شر."[6] فتجد الإنسان يتحرى الكلمة الطيبة ويتحرى الصدق في قوله حريصا على أن تملأ صفحته بالحسنات ليقرأ كتابه غدا. ولذلك تجد الصالح يتجنب الألفاظ السيئة وحتى القريبة منها عملا بكتاب الله وسنة نبيه وخوفا من ارتكاب معصية أو إثم فتكتب له سيئة.

ومن الأسباب الاجتماعية والنفسية الخجل والحياء مع أفراد المجتمع الذين يتبعون أعرافا اجتماعية ألفوا آباءهم عليها؛ فيتجنبون استعمال ألفاظ مبتذلة وألفاظ الموت وعيوب جسدية

وعورات وكذلك الجن والشيطان، وهي كلمات ينفر منها مجتمعهم. وهنا نلمس تأثر النظام اللغوي بالنظم الاجتماعية، وهذا ما لحظه هادي نهر حينما أشار إلى أن اللغة تتأثر بالمجتمعات.[7] فطبيعة المجتمع تفرض على المتكلم انتقاء الألفاظ المناسبة له. ومن العوامل أيضا نجد الخوف والفزع من هذه الألفاظ؛ فيقال فيمن مات: قضى نحبه، أو انتقل إلى رحمة الله، ومثلما نجد في بعض المجتمعات يخشى من ذكر الشياطين والجن فيقال لهم: الآخر والجماعة الآخرون... إضافة إلى الخجل والاحتشام خاصة إذا كان في الجماعة من يمثل الوالدين أو الأخ الكبير أو المعلم أو في شاكلتهم. وبعضهم يخجل من ذكر اسم الزوجة فيقول: ابنة عمي، أهل بيتي..

كما نجد التأدب والتلطف وهذه تظهر فيمن يقرأ القرآن ويتأثر ويعمل به، وكذلك الأحاديث النبوية فتجده ينتقي ألفاظا حسنة ويتعامل بأسلوب مهذب مع المواقف الحرجة، يدرك روائع هذا التعبير، فيشير إلى المستقبح من الكلام دون ذكره صراحة؛ عند الغائط يقول: قضاء الحاجة، وأخرج الريح: استلقى وكاءه. ويقول في الجماع والعلاقات الجنسية:" رفع فلان فلانة إذا وطئها، وكشف قناعها دخل بها، وذاق فلان عسيلة فلانة.[8]" خاصة إذا كان في مقام يوجب توظيف أحسن المقال.

ثالثا: التعبير عن المحظور اللغوي:

يطلق البعض على ما يقابل المحظور اللغوي التلطف اللغوي أو حسن التعبير، حسن الكلام، وهذا يضعنا أمام خيار استبداله بكلمة مهذبة أو حذفها أو تجاوزها. ومن الأساليب نجد:

الكناية: أسلوب بلاغي بياني يوظف أحيانا للتعبير عن المحظور اللغوي واستبدال لفظه، ويشير اللغويون العرب القدامى إلى أن الكناية وضعت للتعبير عن اللفظ القبيح بما تسيغ الآذان سماعه، ولا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بكناية.[9]" من الصور البيانية التي تضيف الجمالية على المعنى لكنها ملجأ العديد وهي باب النجاة في المواقف الحرجة والأقوال المستهجنة المستقبحة. وذلك يجعل من أوضح ميزاتها كما يقول علي الجارم ومصطفى أمين "التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه."[10]فالعرب يكنون المرأة بالشاة والبيضة، ويسمون ابن الزنى بابن مطفأة السراج، والرشوة صب الزيت في القنديل. والإنسان مجبول على الجمال قولا وفعلا فينفر من التعبير عن العورات وما تعلق بها باستعمال التعريض والكناية والإشارة دون التصريح فيحاول تغطية القبح والفحش والكناية في أصل وظيفتها عند الثعالبي جعلت لتحسين القبيح.[11]

الحذف: يشير الحذف إلى تجاوز كلام ما وعدم نطقه ويقتضي فهم السامع ما تم حذفه، والحذف أبلغ من الذكر كما قال عنه الجرجاني:"...فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون بيانا إذا لم تبن "[12]. ومن طبيعة البلغاء والمتحدثين الأذكياء-حسب عبد الرحمان حبنك الميداني-" أن يحذفوا من كلامهم ما يرون المتلقي له قادرا على إدراكه بيسر وسهولة ومن فوائده أن يصان اللسان عن ذكر محذوف تحقيرا له، والإشعار باحتقار المسمى وازدرائه وتنزيه اللسان عنه كما يصان عن ذكر ألفاظ الفحش وأسماء العورات"[13]، وفي المحظور اللغوي يتم تجنبه بحذفه من الكلام لاعتبارات مذكورة آنفا. ومن الأساليب البلاغية الموظفة في تجنب المحظور اللغوي الإيجاز والإشارة بألفاظ أخرى دون ذكر المستقبح أو إعادة التلفظ به. ويشترط في هذه الأساليب البلاغية المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع في فهم ذلك وتأويله لتجاوزه بسهولة دون الإخلال بالكلام ومقاصده وحتى تحقق غايتها

المحظور اللغوي في الأحاديث النبوية:

سيخصص هذا الجانب من البحث لبعض الأحاديث النبوية التي تضمنت المحظور اللغوي، والوقوف على جمالية التعبير عنه وإبراز بلاغته، وتصنيفه بين الأمور الجنسية ومنها العلاقات الجنسية والأعضاء الجنسية والعادات الجنسية؛ كالحيض والاحتلام والجنابة والمني، وما يتعلق بالمرأة.

1/ العلاقات الجنسية:

تتمثل العلاقة الجنسية فيما يحدث بين الرجل وزوجته من جماع أو نكاح على نحو شرعي؛ فيعبر عن النكاح والجماع بألفاظ غير هذه الألفاظ فتظهر ألفاظ مهذبة تخفي وراءها عملية جنسية، وقد ورد كثير منها في الأحاديث النبوية.

"عن أنس بن مالك قوله: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال قلت لأنس: **أَوَ كَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِين. وقال سعيد عن قتادة أن أنسا حدثهم: تِسْع نِسْوَة.**[14]"

ففي الحديث يوجد من الكناية في لفظ يدور بمعنى يجامع، وكان يطيق، يقصد بها القوة الجنسية، أما الساعة فلا يقصد بها الساعة المعروفة من ستين دقيقة، وإنما ميقات من الزمن من الليل والنهار فعبر عن الكل بالجزء الساعة جزء من الوقت. فالمعنى الظاهر الذي يفهمه الشخص

العادي في كلمة يدور بمعنى يزور، أما اللفظ الخفي فهو الجماع والقدرة أو القوة الجنسية التي يتطلبها فيما يحدث بين الرجل وزوجته على هذا النحو.

وقال صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"**[15]

فالرفث هنا الجماع والحديث عنه، والفحش في الفعل والقول، فقد تجنب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الجماع وما يقتضيه من كلمات مرافقة له، تأدبا منه صلى الله عليه وسلم تجنب المحظور اللغوي بتعبير الرفث، كما في قوله عز وجل: **"الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ"**(البقرة:197)، الرفث هنا يعني الجماع، وهو ما ذهب إليه ابن كثير في قوله: "من أحرم بالحج أو العمرة فليتجنب الرفث، وهو الجماع، وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك والتكلم به بحضرة النساء، وقال عبد الله بن عمر: الرفث إتيان النساء، وقال ابن عباس: الرفث التعريض بذكر الجماع."[16] أشارت الآية إلى تحريم الجماع في فترة الحج، وبذلك تمنعه فهو محظور، لكنه لم يصرح به لفظا وإنما ذكر الرفث، وإن كان أغلبهم يجهل معناه إلا بعد الرجوع إلى التفسير والشرح، وقد ذكر ابن عباس بأنه تعريض، وهو ما يقابل التصريح من الكلام.

وعن حديث البراء: **"لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِسَاءَ رَمَضَان كله.**[17]"

التعبير الظاهر والعادي لا يشير إلى محظور (يقربون النساء)، وإذا بحثنا عن هذا الأخير فإننا نجده خفيا ويتحدث عن عملية الجماع في شهر الرمضان. وهو محرم في نهاره وهي كناية فقد عبر بلفظ قريب غير مقصود عن لفظ ومعنى بعيد مقصود. وهنا استعمل الكناية لتجنب لفظ مستقبح وهو الجماع.

ويعد الزواج سُنة تتبع من أجل إطفاء الشهوة الجنسية وحفظ الفرج وإنشاء الأسرة، ويقتضي قدرة مادية وبدنية بمعنى الجنسية، وتعد كلمة "الجنسية" محظورة وقد عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: " **مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ**" وأصل الباءة الموضع الذي تبوء إليه ثم سمي به المنزل ثم كني به عن النكاح والتزوج لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا.[18]

ونجد في صحيح البخاري في باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، ويقصد بالوقاع الجماع، فذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتى أَهْلَهُ قَالَ بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَيْطَانَ وَجَنِّب الشيطانَ مَارَزَقْتَنَا**[19]"فإتيان الأهل لا يقصد به المجيء وهذا هو

المعنى الظاهر، لكنه كناية عن الجماع والوقاع وهذا الحديث يمثل الآداب التي يلتزم بها المسلم حتى في معاشرته لزوجته، كما نجد كلمة "مارزقتنا" فالرزق هنا يتمثل فيما يصيبه الإنسان من زوجته.

كما نجد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقبل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه" والأرب: الحاجة.[20]

والحاجة يعني شدة الشهوة بمعنى يستطيع التحكم فيها، أما يباشر فأصل المباشرة التقاء بشرة إنسان مع آخر وقد يكنى بها عن الجماع. كما في قوله تعالى: "**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** "(النساء:43). "قرئت' لمستم' و 'لامستم' وهي كناية عن الجماع[21]" وليس الجماع مرادا في الحديث لأن القرينة الدالة عليه هي الصوم والمعروف أن الصائم لا يجوز له أن يباشر زوجته في نهار صومه.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إِذَا دَعَا الرَجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِه فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَان عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**[22]"وفي رواية "**إِذَا دَعَا الرَجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَنُورِ**.[23] فالحديثان يشيران إلى الكناية المستعملة بدل المحظور والتي لطفت الكلام وهذبته وهذا ليس بغريب عن قائلها، فالدعوة للحاجة هنا هي دعوة للفراش، وهي ملخص العلاقة بين الرجل وزوجته كنّى عن الجماع بالحاجة أو الفراش وهو المكان الذي يجمع بينهما. والحاجة التي تربطهما في هذا الموضع، وكانت الكناية في التعبير عن العلاقات الزوجية في الأحاديث النبوية الأسلوب البياني الغالب باستعمال ألفاظ الفراش والحاجة واللمس والإتيان؛ المعبرة عن النكاح والجماع وما يقتضيانه في العلاقات الجنسية.

2/ العادات:

العادة هي الشيء المعروف والمعتاد تكراره وفيما يخص الإنسان فالأشياء المعتاد استعمالها وتكرارها وتدخل في باب المحظور اللغوي عند التلفظ بها التغوط وخروج الريح والاحتلام والجنابة والمحيض فيما يخص المرأة، وقد عبر القرآن الكريم عنها بمفردات كقوله تعالى: " **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ** " (النساء:43). والمعروف في المجتمع أن التغوط والتبول وخروج الريح منبوذة وألفاظها مستقبحة. فكثيرا ما يتم الإشارة إليها والتلفظ بألفاظ أخرى تدل عليها كالكناية أو ألفاظ مرادفة ألطف منها. ونجد هذه النماذج كثيرة في الأحاديث النبوية خاصة التي تتعلق بباب الوضوء والطهارة، فقد ورد في البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال أخبرنا عبد

الرزاق قال أخبرنا معمر بن همام أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**"[24] قال رجل من حضرموت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: فُسَاء أو ضُراط.

فالذي يقصده النبي صلى الله عليه وسلم هو خروج الريح وهو ما ينقض الوضوء، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يصرح بلفظ خروج الريح وإنما قال أحدث، وقد فسر أبا هريرة ووضح المفهوم حين سأله الحضرمي عن لفظ الحدث ومعناه. وهو ما يؤكد بلاغة النبي وتعليمه للآخرين فنون الكلام وبلاغته وكيفية التعامل مع هذه الكلمات التي قد تشكل خجلا لدى البعض. ففي المجتمعات لا يصرح بما صرح وأجاب به أبو هريرة لأنه محظور لغوي، وإن كان لا يخالف الشرع لكنه يخالف العادة ويسبب حرجا في المجتمع. وهنا اختل شرط المعرفة المشتركة الذي ذكرناه فالحضرمي لم يفهم لفظ"أحدث" مما اضطر إلى شرحه بلفظ صريح، لكنه محظور في مجتمعات.

وعن عباد ابن تميم عن عمه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال: **لَا يَنْفَتِل أَوْ لَا يَنْصَرِف حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا**."[25]

يقصد الرجل بالشيء: خروج الريح لكنه كنى عنه بالشيء وهذا أيضا يؤكد بلاغة العرب في استعمال الكناية، وفهم سريع للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يظهر في إجابته، فلو كان شخصا آخر لاستفسر عن الشيء أولا، فالشيء له معان عدة ويمكن توظيفه، لكن الحديث يبين فهم القصد. كما أن القارئ لا يجب أن يتوقف عند الجزء الأول من السؤال إذا أراد فهم الحديث؛ فبيت القصيد في الجواب. الرجل شك في الوضوء وخروج الحدث منه، والشيء المستقذر لا يذكر بخاص اسمه إلا للضرورة.

وتطلق عبارة "قضاء الحاجة" في المجتمعات العربية على التبول والتغوط، وهذا من أساليب التلطف والكناية عما يستقبح ذكره، كما نجد أحيانا كلمة الغائط، وأطلق الغائط سابقا على الوادي الذي يتجه نحوه الإنسان لقضاء حاجته، ثم أصبح يطلق على قضاء الحاجة.كما في قوله تعالى: " **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ**"(النساء:43). وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " **إِذَا أَتَى أَحَدكُم الغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِل القِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَه شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**"[26] فنهى النبي صلى الله عليه وسلم التوجه إلى القبلة قبلا أو دبرا عند قضاء الحاجة وسماه بالغائط، وما نلمسه في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الدين

إلا ووضحها حتى كيفية الجلوس للغائط والتبول، جمع أمور الدين حتى لا يلتبس على أمته من بعده.

وقد روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: "**إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ إِذَا قَعَدْتَ عَلَى حَاجَتِكَ فَلَا تَسْتَقْبِلْ القِبْلَةَ وَلَا بَيْتَ المَقْدِسِ**[27]" وهذا الحديث على منوال سابقه، إلا أن عبد الله بن عمر كنّى عن الغائط بالقعود على الحاجة، وقد يسأل السائل كيف يعرف القارئ لهذا الحديث ويفهم أن المقصود هو الغائط، فالعرب بعد نزول القرآن اكتسبوا منه البلاغة والفصاحة والأساليب الجمالية، وصاروا يتحكمون جيدا في ألفاظهم ويعبرون عن معان خفية بأخرى ظاهرة غير مقصودة، كما أن معنى هذا الحديث أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بعبارة الغائط، والقارئ لهذا الحديث يكون قد قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أولا، وبذلك لا يجد صعوبة في تأويل الخفي وفهم المضمر والمقصود منه.

وروي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم **كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَزْنَ إِلَى المَنَاصِعِ**" والمناصع: أماكن معروفة من ناحية البقيع بالمدينة.[28]"

يشير الحديث إلى الخروج وسبب ذلك هو قضاء الحاجة، أما التبرز والبراز فهو فضلات أو غائط أو ما يطرحه الإنسان عند قضاء حاجته. وهو يوافق ما جاء في قول النبي "قد أذن أن تخرجن في حاجتكن[29]"فخروج الحاجة يعني قضاء الحاجة وهو الغائط.

وعن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن أم سليم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "**المَرْأَةُ تَرَى فِي المَنَامِ مِثْلَ مَا يَرَى الرَجُلُ أَ تَغْتَسِل؟** فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: نعم فلتغتسل. وفي رواية **إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ، فَقَالَ: نَعَمْ إِذَا رَأَتْ المَاءَ.**[30]"

المتمعن في الحديث والذي أشكل عليه فهمه يبدأ من آخر الحديث أي الاغتسال، فمداره حول وجوب الغسل، وأن صاحبه قد فقد طهارته ووجب عليه الغسل، ومن نواقضه الماء في الجنابة والاحتلام. أم سليم في الحديث وظفت أسلوب الحذف؛ فحذفت المحظور اللغوي الذي نقض غسلها، (ما يخرج منها عند الاحتلام). فالتعبير الموجز أيضا من الأساليب المستعملة للتخلص من المحظور، وهذه المرأة عند وقوفها أمام النبي صلى الله عليه وسلم وسؤالها له خجلت من ذكر المحظور فحذفته وأشارت إلى ما يصيب الرجل، ففهم النبي ذلك، وكنى أيضا حسب الرواية الثانية بذكر لفظ الماء وهو ما يخرج من الفرج، ففي الحديث محظور محذوف وآخر مكنّى عنه.

3/ ما يتعلق بالمرأة:

رفع الإسلام مكانة المرأة ودعا إلى الرفق في التعامل معها قولا وفعلا، وما يتعلق بمجال المرأة كبير منه ما هو مرتبط بالحيض والنفاس وعلاقتها مع زوجها، وجاء في الأحاديث ما يشير إلى التعامل بلطف في ذلك خاصة في الأقوال، ونادرا ما يشار إلى الحيض بلفظه.

كالرجل يسأل النبي بقوله: " ما يحل لي من امرأتي وهي حائض فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: **لِتَشُدَّ إِزَارَهَا ثُمَّ شَأْنك بِأَعْلَاهَا.**"[31] صرح الرجل بلفظ الحائض أما النبي صلى الله عليه وسلم فكان بليغا في رده فجعل من الكناية تشد إزارها، قصدا لعدم ممارسة الجماع طيلة هذه الفترة، ومن الكناية الثانية شأنك بأعلاها إشارة إلى ما يحدث بينهما في العلاقة عدا الجماع كالتقبيل والمداعبة، فعند ذكرنا للألفاظ وقعنا في المحظور اللغوي والمتكلم يخجل من ذكر هذا كله، فتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم هذا المحظور بالكنايات. وروي عن عائشة أم المؤمنين "أنها كانت مضطجعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد وقد وثبت وثبة شديدة فقال لها الرسول:" **مَالَك؟ لعلَّكِ نَفِسْتِ.**[32]" المقصود هنا الحيض، لكن تجاوز اللفظ بكلمة النفاس وهي ألطف من الحيض.

4/ الأعضاء:

الأعضاء الجنسية أجزاء من جسم الإنسان لكنها تشكل إحراجا عند تسميتها ونادرا ما يتلفظ بلفظها لأنها محظورة فيشار إليها عادة بالقبل والدبر، والمرأة بصفة عامة يكنى عنها بالبيض والشاة والقوارير كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَة، لَا تَكْسِر القَوَارِير، قال قتادة: يعني ضَعَفَة النِسَاء**[33]"

أما الأعضاء الجنسية فعبر عنها بأسلوب ألطف ومفردات مهذبة، لا ينزعج قارؤها ولا سامعها، كحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "...**وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُم مِن نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وضُوئِهِ فَإِنَّ أَحَدَكُم لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ.**[34]"

قد يسأل السائل أين المحظور في الحديث؟ والجواب أن المحظور متضمن في معنى الحديث وفي معنى عبارة (أين باتت يده) فالنبي يقصد أن النائم وهو غير واع قد يلمس ذكره وعورته وهو لا يدري فحذف المحظور، ونبه إلى غسل اليد قبل وضعها في الوضوء. وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان رجلا مذّاء، والمذّاء كثير خروج المذي. –والمذي عرفه النووي رحمه الله:" ماء رقيق

أبيض لزج يخرج عند الملاعبة أو تذكر الجماع-[35]فأمر رجلا أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته "فسأل، فقال: **تَوَضَّأْ وَاغْسِلْ ذَكَرَكَ**[36]"

الأدب الأول الذي نستنتجه من الحديث هو حياء علي من النبي لأنه زوج ابنته؛ أبى أن يقف أمام الرسول ويسأله عن أمر شرعي لكنه رآه محظورا، لأن الذي سيسأله ليس رجلا عاديا أولا هو النبي وثانيا أبو فاطمة زوجته، والأدب الثاني في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكر المحظور، فاستبدله بلفظ ألطف، ولم يسم الفرج وإنما قال: الذَكر، وهو عورة الرجل.

وفي حديث التستر في الغسل ما روي عن قصة بني إسرائيل " **كَانُوا يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَرَوْنَ بَعْضَهُمْ، أَمَّا مُوسَى فَوَحْدَهُ، فَقَالُوا: هُو آدَر.**"[37]

والأدرة: نفخة وعيب في الخصية. ما يشد الانتباه في الحديث الكلمات التي تدل على العورة والعيب، لكن النطق بها لا يضع صاحبها أمام المحظور، لأنها من الكلمات النادرة والتي يجهلها المجتمع وإن قيلت لن يخجل أو يحرج المتفوه بها.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم واصفا بعضا من حال أمته من بعده: " **لَيَكُونُنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَّ**"[38]المقصود بالحديث يستحلون الزنا، المحظور فعلا ومن ناحية المعنى، لكن المحظور اللغوي يكمن في كلمة "الحر" والتي هذبت المعنى لأنها لفظ كنّى به النبي صلى الله عليه وسلم عن محظور هو فرج المرأة، ويشير الفرج هنا إلى الزنا، فتجنب النبي الكلام المستقبح المتمثل في الزنا وفي فرج المرأة.

كما أن الجماع والنكاح من الكلمات المحظورة فيستعمل بدلها كلمات مرادفة لكنها غير معروفة والنطق بها لا يشكل حرجا فمن أسماء النكاح الشغار[39]، ولو نطق بالشغار في جماعة لن يفهم.

ولا ينحصر المحظور اللغوي في الجانب الجنسي فقط، وإنما شكل هذا الجانب أغلبه، فكما قلنا من المحظور في بعض المجتمعات الموت وذكر الجن والشياطين، وهذا مرتبط بالجانب النفسي أكثر، فقد روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسهَا**"[40] والفلتة والافتلات ما يقع بغتة دون روية، فأراد الرجل قول أن أمه ماتت فجأة، ولم يذكر لفظ الموت صراحة لكنه نطق غيره، وقد يرى البعض أن الموت ليس بمحظور، لكن مادام مرتبطا بالجانب النفسي فبعض الفئات تعده محظورا إذا انطلقت من فكرة كل مكروه محظور وهذه الفئات طبعا تكره الموت.

وقد يكره المتكلم ألفاظا فيتجنب ذكرها ولا يحبذ سماعها من الآخرين، فهي في حكم المحظور، مثلما روي عن جابر رضي الله عنه أنه "أتى النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبيه فدقدق الباب فقال: من؟ فقال: أنا، فقال النبي: **أنا أنا، كأنه كرهها**.[41]" فأصبح جابر يرى لفظ "أنا" محظورا خاصة أمام النبي صلى الله عليه وسلم بعدما سمع ردة فعله وكأنها لم تعجبه، فأراده أن يذكر اسمه مباشرة دون ذكر "أنا".

خاتمة البحث ونتائجه:

المحظور اللغوي هو الكلام المستهجن الذي يستقبحه الفرد والمجتمع ولا تستسيغه الآذان، ومنه ما خالف الشرع فهو محرم ومنه ما لم يخالف الشرع لكنه متروك ومقصى من المجتمع؛ لبشاعته خاصة ما تعلق بالنكاح وعلاقة الرجل مع زوجته والعورة وما يصيب الرجل والمرأة في أمور خاصة؛ والتلفظ بهذا يشكل إحراجا في بعض المجتمعات والمواقف التي تخالف العادات، وقد صدقت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بوصف النبي صلى الله عليه وسلم "**كَانَ خُلُقهُ القُرْآن**"، وقد أظهرت النماذج المذكورة كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المحظور اللغوي. فقد كان معلما ومربيا في الأقوال لفظا ومعنى وفي الأفعال، أبانت عن المستوى الثقافي والفكري والتربوي، وما أظهرته الأحاديث النبوية من تجاوزه للمحظور اللغوي وتعبيره عنه بعدم ذكره صراحة إما بالكناية أو الإشارة والتعريض، أو ذكر لفظ لطيف مهذب يدل عليه أو حذفه مع فهم السامع للكلام، أو تجاوزه أو ذكر مرادف له لكنه ألطف وغير مشهور ولن يفهم من الوهلة الأولى، وقد قسمت المحظورات اللغوية في الأحاديث النبوية إلى علاقات جنسية بين الرجل وزوجته والعادات الجنسية المتمثلة في قضاء الحاجة والاحتلام والحيض، وكذلك العورات بعدم تلفظها صراحة.

ولاريب أن الإنسان يستفيد من الأحاديث النبوية التي نهجت نهج القرآن سواء عملا بها أو اتباعها في أسلوب الكلام وتوظيف الأساليب البلاغية الجمالية؛ التي تزين المعنى وتنجي المتكلم من الوقوع في المواقف التواصلية الحرجة أحيانا، سعيا لتحرير الإنسان من المستوى المنحط والسمو به إلى فيم إنسانية تربوية وأخلاقية ومحققة بذلك أهدافا ومقاصد شرعية وبلاغية وبيانية.

هوامش:

[1]/ الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، ج3، ص:197.

[2]/ محمد محمود السيد، اللامساس بين النظرة التاريخية والدواعي اللسانية، مقال بتاريخ:12-06-2016- www.nashiri.net.

[3]/ إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1976. و محمد محمود السيد: اللامساس بين النظرة التاريخية والدواعي اللسانية، دار ناشري، مكتبة الكويت الوطنية306/ www.nashiri.net2008

[4]/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، السعودية، ط2، 1420هـ-1999، ج5، ص:86.

[5]/ الزمخشري جار الله: الكشاف، تح: عادل أحمد أبو الوجود، الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ-1998. ج2، ص ص:169-170

[6]/ أبو حيان: البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد أبو الوجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993. ج8، ص:123

[7]/ هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، ط1، 1988-1408هـ، ص: 166.

[8]/ محمد عفيف الدين دمياط: محاضرة في علم اللغة الاجتماعي، مطبعة دار العلوم، سوريا، 2010 ، ص:178.

[9]/ظ: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة،، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1999. ص ص: 286-290.

[10]/ علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار المعارف، د.ط، 1999 ص: 123.

[11]/ الثعالبي أبو منصور، الكناية والتعريض، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
ص ص: 51-155-163.

[12]/ الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط3، 1992. ص: 106.

[13]/ عبد الرحمان حبنك الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ-1996. ج2، ص:40/ ج1، ص ص:337-339،

[14]/ البخاري: صحيح البخاري، شرح: محب الدين الخطيب، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ.، ج1، حديث:268، ص:105.

[15]/ صحيح البخاري: ح1521، ص:471.

[16]/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص ص:543-544.

[17]/صحيح البخاري، ج3، ح4508، ص: 198.

[18]/ المصدر نفسه، ج2، ح1905، ص32.

[19]/ المصدر نفسه، ج1،ح141، ص:67.

[20]/المصدر نفسه، ج2، ح1927، ص:37.

[21]/ ابن كثير، ج2، ص ص: 313-314.

[22]/ أبو زكريا النووي: رياض الصالحين، تخريج وتحقيق: الإمام الهيثمي والشيخان الألباني والأرناؤوط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002. ، ح332، ص:107.

[23]/رياض الصالحين المرجع نفسه، ح336، ص: 107.

[24]/ البخاري، ج1، ح135، ص: 65.

[25]/ المصدر نفسه، ج1، ح137، ص: 66.

[26]/ المصدر نفسه، ج1، ح144، ص: 68.

[27]/ البخاري، ج1، ح145، ص: 68.

[28]/ البخاري، ج1، ح146، ص: 69.

[29]/ المصدر نفسه، ج1، ح147، ص: 69.

[30]/ مالك بن أنس: الموطّأ، برواية: يحي بن يحي الليثي الأندلسي القرطبي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ح117، ص: 32

[31]/ المصدر نفسه، ح126، ص: 34.

[32]/ المصدر نفسه، ح127، ص:35.

[33]/ البخاري، ج4، ح6211، ص: 130.

[34]/ البخاري، ج1، ح162، ص:73.

[35]/ مركز الفتوى، فتوى رقم126327، 4رمضان 24/1430 أوت2009. fatwa.islam.net

[36]/ البخاري، ج1، ح269، ص ص:105-106.

[37]/ المصدر نفسه، ج1، ح278، ص: 108.

[38]/ المصدر نفسه، ج4، ح 5590، ص: 13.

[39]/ البخاري، ج4، ح6960، ص: 289.

[40]/ م ن، ج1، ح1388، ص:427.

[41]/ م ن، ج4، ح 6250، ص140.